# الأساليب البلاغية في قصيدة مصر تتحدث عن نفسها لشاعر النيل: حافظ إبراهيم

د/ فاطمة محمد محمد المهدي
مدرس البلاغة والنقد في الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد

فإن الرعيل الأول من أدباء العصر الحديث لم يكونوا روافد لنهر الأدب فحسب تمده بغزير الإنتاج، بل كانوا روافد لأنهار شتى من الأدب والثقافة والسياسة واللغة بصفة عامة، والبلاغة بصفة خاصة وشاعر النيل أحد هؤلاء بل ألمع هؤلاء.

وقد ألفت الأوساط الفكرية في مصر والعالم أن يجدوا اسمه في قائمة أعلام الأدب العربي أديبا عملاقا ولكن قل أن يجدوا له اسما في قائمة باحثي البلاغة ودارسيها.

والجانب البلاغي في حياة حافظ إبراهيم جانب خفي مع ظهور الجانب الأدبي لذا كان موضوع بحثي:

الأساليب البلاغية في قصيدة مصر تتحدث عن نفسها لشاعر النيل حافظ إبراهيم.

وقد قرأت بعض أشعار شاعر النيل فوجدت عنده الإيمان الراسخ، والوطنية الصادقة، والفكر الخصب، والعرض الجيد، والعمق في التحليل، والدقة في التصوير، والغيرة على بلاده، فاستقرت في نفسي رغبة الدراسة لبعض أشعار هذه الشخصية الأصيلة في منهجها، المخلصة في دراستها الصادقة في إيمانها، المعتزة بعروبتها، الغيورة على مصريتها.

وقصيدة "مصر تتحدث عن نفسها" كسائر أشعاره زخرت بكثير من الأساليب البلاغية الجميلة الرائعة، فضلا عن أنها من القصائد الوطنية الجميلة التي كان لها صداها في غرس الوطنية في نفوس العرب عامة والمصريين خاصة. وسرت في بحثي هذا على منهجين:

**١ – المنهج الاستقرائي التام:**

قمت فيه بقراءة القصيدة واستخراج ما فيها من صور بلاغية.

**٢ – المنهج التذوقي:**

الذي بمقتضاه استطعت أن أتذوق الأساليب البلاغية، وأبين نوعها وسرها البلاغي.

واشتمل البحث على:

**١ – المقدمة:**

ذكرت فيها موضوع البحث، وسر اختياري لهذا الموضوع، والمنهج الذي سرت عليه.

**٢ – التمهيد:**

ذكرت فيه نبذه عن شاعر النيل حافظ إبراهيم.

**٣ – عرض القصيدة:**

فقد اقتضت طبيعة البحث أن أرجع إلى القصيدة لاستخرج منها الصورة البلاغية

**٤ – التعليق على القصيدة وشرحها.**

**٥ – الأساليب البلاغية في القصيدة.**

وقد زخرت قصيدة " مصر تتحدث عن نفسها " بكثير من الأساليب البلاغية الجميلة الرائعة من خبر وإنشاء، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وفصل ووصل وقصر وإيجاز وإطناب.

ثم اشتملت القصيدة على الصور البيانية بأنواعها الثلاثة من تشبيه ومجاز لغوى بنوعيه المجاز المرسل والاستعارة والكناية.

وقد توسل حافظ بالصورة البيانية لتشكيل قصيدته الشعرية، واتخذها أداة فنية من الأدوات المتعددة التي ساعدته على إبراز مشاعره تجاه مصر وحبه لها، وعرض مظاهر جمالها، والحديث عن حضارتها في إطار شعري جميل وشكل فني رائع.

واشتملت القصيدة على كثير من المحسنات البديعية المعنوية اللفظية التي جاء بها شاعر النيل بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال ووضوح الدلالة فخرجت القصيدة في أجمل صورة وأبهاها حتى بدت كاللوحة الجميلة التي ساعد كل لون على إبراز مظاهر الجمال فيها.

وأرجو أن أكون وفقت في بحثي هذا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

التمهيد: [1]

مولده:

ولد محمد حافظ إبراهيم في سفينة أنيقة راسيه في النيل بالقرب من قناطر ديروط كما سجل هو بخط يده في ملف خدمته، وكانت هذه السفينة ملك "محمود سليمان باشا" من كبار سادة الصعيد في ذلك الحين.

نشأته:

تربى وهو طفل صغير على ظهر السفينة ينعم بحنان والديه، ولما بلغ الرابعة من عمره رزق بأخت، وتوفى والده وهو في سنته الرابعة، ولم يترك مالا للأم تستعين به في مواجهة النفقات التي تربى بها الطفلين.

رأت الأم بعد ذلك أن ترحل هي وطفلاها لتعيش في كنف أخيها بالقاهرة " محمد أفندي نيازي "مهندس بالتنظيم. وبعد سنين قلائل ألحق الخال الطفل بالمدرسة الخيرية بالقلعة ثم ألحق بعد ذلك بالمدرسة الغربية الابتدائية وانتقل إلى مدرسة المبتديان، ثم تحول إلى المدرسة الخديوية، لكنه لم يمكث فيها طويلا لأنه انتقل مع خاله إلى طنطا ١٨٨٧ م وألتحق بعد ذلك بالمدرسة الحربية وتخرج منها سنة ١٨٩١ م وعمل ضابطا بالجيش في مصر والسودان وقد تفتحت موهبته الشعرية وهو في سن صغيرة فأخذ يقرأ كتب الأدب وبخاصة كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ / حسين

---

١) أخذت في كتابه التمهيد من مقدمه الديوان ص٢، ط وزارة المعارف خمسة من شعراء الوطنية د/ عثمان أمين، د/ نعمات احمد فؤاد، نيقولا يوسف، د/ عبد المنعم خفاجي، د/عبده بدوي ص٩٦ وما بعدها - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م. مجلة أبولو عدد يوليه ١٩٣٣م حافظ وشوقي للاستاذ/ الصيرفي ص٥٨.

المرصفى، وهذا الكتاب كان مثار إعجاب كثير من ناشئة المتأدبين في ذلك الحين ومنهم احمد شوقي

وحافظ إبراهيم من أعلام مدرسة الإحياء في الشعر العربي الحديث التي عملت على بعث الروح فيه. وقد شارك خليل مطران في ترجمه كتاب " الموجز في الاقتصاد " كما ترجم قصة " البؤساء " لفيكتور هوجو.

## ثقافته:

كانت الثقافة التي تلقاها حافظ بالمدارس محدودة جدا ولكنه عكف على قراءة الأدب العربي وأشبع رغبته وبخاصة كتاب " الأغاني " وكتاب "الوسيلة الأدبية" وكتب الجاحظ وغيرها من أمهات الكتب. وكان من أهم مصادر ثقافته المجالس الأدبية التي كان يرتادها، وتردده على دور الصحف التي كانت موجودة في زمانه، وعقده صلات ودية مع أصحابها ومحرريها.

كذلك كان من مصادر ثقافته اتصاله بأعلام الأدب والعلم الذين اشتهروا في عصره.

## وفاته:

كان حافظ قد أصيب بمرض السكر وحاول أصحابه أن يحملوه على التداوي من هذا الداء لكنه انتظم في العلاج أياما ثم انقطع. توفى في الساعة الخامسة من صباح يوم الخميس ٢١ يوليو ١٩٣٢ وشيع في الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم وسار في جنازته عليه القوم وأهل الفكر والأدب.

**عرض القصيدة والتعليق عليها:**

أولا: عرض القصيدة: -

وقف الخلق ينظرون جميعا ** كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة الأهرام في سالف الدهر ** كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق الشر ** ق ودرأته فرائد عقدي
أي شئ في الغرب قد بهر النا ** س جمالا ولم يكن منه عندي
فترابي تبر ونهري فرأت ** وسمائي مصقولة كالفرند
أينما سرت جدول عند كرم ** عند زهر مدنر عند رند
ورجالي لو أنصفوهم لسادوا ** من كهول ملئ العيون ومرد
لو أصابوا إليهم مجالا لأبدوا ** معجزات الذكاء في كل قصيد
إنهم كالظبا ألح عليها ** صدأ الدهر من ثواء وعمد
فإذا صيقل القضاء جلاها ** كن كالموت ماله من مرد
أنا إن قدر الآله مماتي ** لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدي
ما رماتي رام وراح سليما ** من قديم عناية الله جندي
كم بغت دولة على وجارت ** ثم زالت وتلك عقبى التحدي
أنني حرة كسرت قيودي ** رغم رقبى العدا وقطعت قدي
وتماثلت للشفاء وقد دا ** نيت جنبي وهيأ القوم لحدي
قل لمن أنكروا مفاخر قومي ** مثلما أنكروا مأثر ولدى
هل وقفتم بقمة الهرم الأكبر ** يوما فرأيتم بعض جهدي
هل رأيتم تلك النقوش اللوآتي ** أعجزت طوق صنعة المتحدي
حال لون النهار من قدم العهـ ** ـد وما مس لونها طول عهد
هل فهمنتم أسرار ما كان عندي ** من علوم مخبوءة طي بردى
ذاك فن التحنيط قد غلب الدهـ ** ـر وأبلى وأعجز ندى
قد عقدت العهود من عهد فرعو ** ن فقى مصر كان أول عقد

إن مجدي في الأوليات عريق ** من له مثل أولياني ومجدي
أنا أم التشريع قد أخذ الرد ** مان عنى الأصول في كل حد
ورصدت النجوم منذ أضاءت ** في سماء الدجي فأحكمت رصدي
وشدا " بنتئور " فوق ربوعي ** قبل عهد اليونان أو عهد نجد
وقديما بنى الأساطيل قومي ** ففرقن البحار يحملن بندي
قبل أسطول بلس كان أسطو ** لي سريا وطالعي غير نكدي
فسلوا البحر عن بلاء سقيني ** وسلوا البر عن مواقع جردي
أتراني وقد طويت حياتي ** في مراس لم أبلغ اليوم رشدي
أي شعب أحق منى بعيش ** وارف الظل أخضر اللون رغد ؟
أمن العدل أنهم يردون الما ** ء صفوا وأن يكدر وردى ؟
أمن الحق أنهم يطلقون الأ ** سد منهم وأن تقيد أسدى ؟
يضف قرن إلا قليلا أعاني ** ما يعانى هوانه كل عبد
نظر الله لي فأرشد أبنا ** ئي فشدوا إلى العلا أي شد
إنما الحق قوة من قوى الد ** يان أمضى من كل أبيض هندي
قد وعدت العلا بكل أبى ** من رجالي فانجزا اليوم وعدى
أمهروها بالروح فهي عروس ** تشنأ المهر من عروض ونقد
وردوا بى متأهل العز حتى ** يخطب النجم في المجرة ودي
وارفعوا دولتي على العلم ** والأخلاق فالعلم وحده ليس يجدي
وتواصلوا بالصبر فالصبران فا ** رق قوما فما له من مسد
خلق الصبر وحده نصبر القو ** م وأغنى عن اختراع وعد
شهدوا حومة الوغى منقوس ** صابرات وأوجه غير ربد
فمحا الصبر آيه العلم في الحر ** ب وانحى على القوى الأشد
أن في الغرب اعينا راصدات ** كحلتها الأطماع فيكم بسهد
فوقها مجهر يريها خفايا ** كم ويطوى شعاعه كل بعد

فاتقوهـــا بجنـــة مـــن ونـــام ** غيـدرت العـــرا وســـعي وكـــد
واصفحوا عن هنات من كان منكم ** رب هـاف هفـا علـى غـير عمـد
نحـــن نجتـــاز موقفـــا تعـــثر الآ ** راء فيـه وعـثرة الـرأي تـردى
ونعـير الأهـواء حربـا عوانـا ** من خلاف والحلف كالسل يعدى
ونثير الفوضـــى علـى جانبيـه ** فيعيـد الجهـول فيهـا ويبـدى
ويظـــن القـــوى أن لا نظـــام ** ويقـول القـوى قـد جـد جـدي
فقفوا فيه وقفة الحـزم وارمـوا ** جانبيـــه بعزمـــة المســـتعد
أننـا عنـد فجـر ليـل طويـل ** قـد قطعنـاه بيـن سـهد ووجـد
غمرتنـا سـور الأهـاويل فيـه ** و الأمـــاني بيـــن جـــزر ومـــد
وتجلـــى ضيـــاؤه بعـــد لأي ** وهـو رمـز لعهـدي المسـترد
فاستبينوا قصـد السـبيل وجـدوا ** فألمعـــاني مخطوبـــة للمجـــد

ثانيا: التعليق على القصيدة:

كان غرض حافظ إبراهيم في هذه القصيدة، هو التفخر بالأمجاد القومية قديمها وحديثها، وهذا النص يعد من التيار السياسي الوطني الذي يندد بالاستعمار، فحافظ من شعراء التحرير الذين شاركوا في إيقاظ الوعي القومي. وهو في هذه القصيدة يذكر بحضارة مصر القديمة ويستعيد صور البطولة من ماضيها كما يبعث الأمل في حاضر زاهر جميل وغد مشرق، كما يرد الثقة في نفوس رجالها في صنع مستقبل أفضل.

وقد امتاز النص بوضوح الأفكار وترابط المعاني، وملاءمة الألفاظ لعاطفة الفخر، وجزالتها وقوتها، وترابط الأفكار ووضوحها، وإحكام العبارات وقوة بنائها. وقد ظهرت ملامح شخصية حافظ من خلال القصيدة فهو شاعر وطني صادق الوطنية يعبر عن أمال أمته وآلامها، ويؤمن بحقها في حياة كريمة وغد زاهر مشرق.

وقد ركز حافظ في هذه القصيدة على جمال الطبيعة وذلك لأنه شاعر يحس بالجمال، كما أن الجمال الطبيعي ثروة تعيش عليها بعض الدول السياحية، ووضح من خلال القصيدة أنه شاعر متمسك بالقيم الدينية حينما تحدث عن رعاية الله لمصر، وقد ربط ذلك بالحديث عن دور مصر في تاريخ الشرق وحياته فبدونها لا يرفع الشرق رأسه.

وقد جعل مصر تعتذر عن خمول أبنائها بما سلط عليهم من قهر وظلم ولولا ذلك لأبدوا معجزات الذكاء في كل قصد، وهو في الختام يحذر الأعداء من إنكار فضل مصر. ويدعو أبنائها إلى العمل والنهضة بالبذل والوعى.

وهذه القصيدة من القصائد الجميلة الرائعة التي زخرت بكثير من الصور البلاغية من معان وبيان وبديع وامتازت بانتقاء الألفاظ وحسن تنسيقها وترابط أفكارها، وروعة صورها التي تدل على قوة العاطفة التي تشيع الجمال في القصيدة وتؤثر فى النفوس، وتجسم الأفكار وتوضحها، وكان بعضها مستمدا من البيئة القديمة وهذا يدل على حرص الشاعر على اللفظ العربي الأصيل ومحافظته على القديم.

وكان عنوان القصيدة مناسبا للأفكار الواردة فيها، وقد سلك حافظ في ذلك مسلكا جديدا حينما جعل مصر تتحدث عن نفسها. وقد أنشد هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم بفندق ' الكونتنتال سنة ١٩٢١ لتكريم عدلي يكن بعد عودته من أوروبا قاطعا المفاوضة مع الإنجليز ومستقيلا من الوزارة. وهى من روائع شعر حافظ، وقد تغنت بأبياتها السيدة أم كلثوم

**الأساليب البلاغية في القصيدة:**

وقف الخلق ينظرون جميعا ** كيف أبني قواعد المجد وحدي

بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب خبري يتصف بالهدوء والثبات، وجاء الشاعر بهذا الأسلوب الخبري خاليا من التأكيد لقصد إعلام السامع بمضمون الكلام ومحتواه ولأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر، فهو يقصد أن يخبر السامع بصورة مصر الحديثة والخلق واقفون من حو ينظرون. ثم أعقب الشاعر هذا الأسلوب الخبري بأسلوب من الأساليب الإنشائية الطلبية وهو " الاستفهام " الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى أخر مجازى وهو: " التعجب " في قوله: كيف أبني قواعد المجد وحدي.

وقد جاءت الجملة الخبرية "وقف الخلق" بصيغة الماضي للإيحاء بأنه أمر ثابت. ثم عبر الشاعر بالمضارع في قوله: "ينظرون" للدلالة على تجدد النظر وتتابعه، وتكرره آنا أثر آن.

فوقوف الخلق جميعا أمر ثابت دائم لا ينقطع ولا يزول، أما نظرهم فهو أمر متجدد يحدث ويتكرر. فالمسند يكون اسما فيفيد الثبوت والمراد بالثبوت ' حصول المسند للمسند إليه من غير دلالة على تقيده بالزمان ويكون فعلا فيفيد التحيدد والحدوث أي حدوثه شيئا بعد شئ على وجه الاستمرار[1].

وكان الشاعر دقيقا في استعمال ألفاظه التي يريد أن يعبر بها عن حبه لمصر وحضارتها، وروعة الأمجاد المصرية وعظمتها. فعبر بصيغة

---

١) شروح التلخيص ٢ /٢. - دار الشروق - بيروت.

المضارع في قوله: " أبني " ليدل على أن المراد بهذا البناء النهضة المصرية الحديثة، ولم يعبر عن ذلك بالفعل الماضي فيقول: " بنيت " لئلا يلتبس بذهن السامع أن المراد بذلك الحضارة القديمة. وجاء الشاعر بقوله: " وحدي " للدلالة على أن شعب مصر معتمد في بناء نهضته الحديثة على نفسه دون تدخل من الاستعمار الذي حاول بشتى الطرق أن يصرف الشعب المصري عن النهضة، ويحول بينه وبين الرقى والتقدم عن طريق إذلال المصريين وأهانتهم، وبث اليأس والإحباط في نفوسهم، وعدم إمدادهم بالمخترعات الحديثة، ومع ذلك نهضت مصر صناعيا واقتصاديا.

وتعريف "الخلق" بـ "الـ" للعموم و الشمول، فهي تفيد الاستغراق الشامل لكل ما يبدرج تحت هذا المسمى إذ إنه حكم عام يشمل كل الخلق، وفصل الشاعر بين شطري البيت لما بينهما من كمال انقطاع لاختلافهما خبرا وإنشاء، فالشطر الأول من البيت جملة خبرية لفظا ومعنى، والشطر الثاني منه جملة إنشائية لفظا ومعنى.

وقد اشتمل البيت السابق على صورتين من الصور البيانية الجميلة التي اقتضى السياق التعبير بها.

الصورة الأولى:

الاستعارة في قوله: "أبني قواعد المجد" وهى استعارة مكنية، حيث شبه المجد بصرح ضخم شامخ له قواعد تبنى، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو البناء على سبيل الاستعارة المكنية، واثبات لازم المشبه به للمشبه استعارة تخييلية، وهى قرنية المكنية.

وفى التعبير عن الشيء المعنوي بشيء حسي يرى ويشاهد تصوير بليغ يؤثر في نفس السامع بالصوت والصورة ويثير خياله، ولو أنه سلك سبيل الحقيقة لما بلغ من التأثير ما بلغه التصوير بالاستعارة، حيث

صورت الاستعارة أصالة الحضارة المصرية ورسوخها تصويرا دقيقا يحقق غرض الشاعر مع مبالغة مقبولة وتأثير في نفس السامع دون إطالة أو إطناب.

الصورة الثانية:

الكناية: في قوله: "وقف الخلق ينظروف جميعا. " وهى كناية عن دهشة العالم كله، وهى من الكنايات الجميلة الرائعة التي أتى بها الشاعر، فهي تصور لنا الخلق الذين وقفوا ينظرون جميعا وقد شدت أبصارهم، وبذلك تكون الكناية أتت بالمعنى مصحوبا بالدليل في تجسيم وإيحاء، وقد تآزرت الصورتان وتعاضدتا في إبراز جمال البيت وأخذ كل منهما بالأخرى في الإبانه عن ألمعنى الذي رامه شاعر النيل.

وبناة الأهرام في سالف الدهر ** كفوني الكلام عند التحدي

ساق الشاعر هذا البيت بأسلوب خبري خال من التأكيد لقصد أخبار السامع بمضمونه ومحتواه، وقد خرج الخبر من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الفخر والاعتزاز بأبناء مصر، ويقول أنهم أحفاد بناة الأهرام الذين صنعوا المعجزات. وإضافة بناة إلى "الأهرام" تخصيص لهم بأنهم بناة وليس مجرد بناة بل أنهم بناة أهرام وفى ذلك تعظيم لشانهم، وتمجيد لبنائهم.

وقوله: "بناة الأهرام" إيجاز.أغنى عن التفصيل، فقد أتى الشاعر بالمستند إليه مضافا في قوله: "بناة الأهرام" لتعذر ان يذكرهم فردا فردا فأغنت الإضافة عن التفصيل المتعذر. فالتعريف بالإضافة يأتي لأن "

الإضافة متعينة ولا طريق سواها، أو لكونها أخضر، أو لأنها يستغني بها عن التفصيل المتعذر أو للتشريف"[١].

وفى قوله: كفوني الكلام عند التحدي" تعبير موجز يغنى عن الإطناب في سرد الحوار، ويصور الموقف بصورة مجسمة توحي بقوة الصراع الذي أوحت به كلمة "التحدي"، والإيجاز أعلى طبقات البلاغة مكانة، واسماها منزلة فهو يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء " لأنه يترك على أطراف المعاني ظلالا خفية يشتغل بها الذهن ويعمل فيها الخيال، حتى تبرز وتتلون وتتسع ثم تتشعب إلى معان أخرى يتحملها اللفظ"[٢].

أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ** ودراتـــه قرائـــد عقـــدي

في البيت السابق خرج الخبر من معناه الحقيقي هو الفائدة أو لازم الفائدة إلى غرض مجازى آخر وهو الفخر. والتعبير بضمير المتكلم "أنا" يوحي بالعزة والثقة بالنفس ويناسب جو النص وهو الفخر.

وفى قوله: أنا تاج العلاء ... تشبيه بليغ يوحي بعظمة مصر ومكانتها ورفعة شأنها والتشبيه هنا وضح المعنى وقربه من الأفهام وهذه الصورة التشبيهيه مهدت لصورة بيانية أخرى وهى الاستعارة في قوله: "قرائد" حيث شبه الشاعر أمجاد مصر بالفرائد وهي الجواهر التي لا مثيل لها، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحيه الأصلية، وهى من الاستعارة المرشحة لأنها قرنت بما يلائم المستعار منه

---

١) التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للعلامة شرف الدين حسين بن محمد الطيبى تحقيق وتقديم د/ هادى عطية مصر الهلالي ص٧٦ عالم الكتب - مكتبه النهضة العربية - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢) فن الاستعارة ص٣٣٥.

وهي قوله: " عقدي " حيث قوى الشاعر هذا الخيال بجعل هذه الفرائد منظومة في عقد حول عنق مصر التي تفخر بمكانتها.

وسميت هذه الاستعارة بالمرشحة لأنها قرنت بما يقويها ويؤكد الغرض الذي كانت من أجله وهو تناسى التسبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به وداخل في جنسه حتى كان الموجود في واقع الأمرهو المشبه به لا المشبه وفى قوله: " مفرق الشرق " استعارة مكنية حيث شبه الشرق بإنسان له مفرق وعلى رأسه تاج، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو مفرق على سبيل الاستعارة المكنية واثبات لازم المشبه به وهو: " مفرق " للمشبه وهو " الشرق " استعارة تخييلية أوحت بأن مصر في قمة العلاء، وفى وسط الشرق، وبذلك يكون الشاعر قد صور البلاد العربية ملتفة حول مصر بالدرات في عقد حول العنق، ومصر في وسطها وعلى قمتها

وبذلك يتضح لنا أن الشاعر في الصور البيانية السابقة قد أفرغ عليها من فيض حسه وروحه حتى استحالت الجمادات في قصيدته تخاطب، والمعاني مجسدات تشاهد قصور مصر تاجا على رأس الشرق مرصعا بالأمجاد التي لا مثيل لها.

ولا شك أن صيرورة هذه الأشياء المعنوية إلى أشياء حسية بإضفاء الصفات الإنسانية عليها إنما يتأتى عن طريق الاستعارة التي قوامها لفظ المشبه به المستعمل في المشبه عن طريق الدمج بين الطرفين وصيرورة الأشياء شيئا واحدا حتى يتحقق الغرض من الصورة وهو المبالغة في تناسى التشبيه.

أي شئ في الغرب قد بهر النا ** س جمالا ولم يكن منه عندي

الاستفهام في قوله: " أي شئ غير محمول على حقيقته لأنه يستدعى الجهل بالمسؤول عنه، ولم يكن الشاعر يجهله وإنما المراد نفى أن يكون هناك شئ في الغرب بهر الناس جمالا ولم تكن مصر عندها منه، فعندها جمال الطبيعة، وجمال الحضارة، وجمال النفوس، وعندها المجد والعزة والكرامة

وعمد الشاعر إلى أسلوب الاستفهام في إثبات أن مصر معتز بنهضتها متباهية بثروتها، وكل ما يملكه الغرب عندها مثله، ولو أتى هذا الكلام خاليا من الاستفهام فقال: لا شيء في الغرب قد بهر الناس جمالا ولم يكن منه عندي لأفاد ذلك المعنى، لكن لم يكن له من الإثارة والتشويق ما في ذلك الأسلوب الاستفهامي.

وأكد جمله "بهر الناس" بأداة التأكيد "قد" للدلالة على تأكيد مضمون هذه الجملة ومحتواها. وغلبت على الشاعر ترعته الفنية فقال: بهر الناس جمالا ولم يقل: " نتاجا " مثلا، مركز على الجمال الطبيعي لمصر أكثر من تركيز على ثروتها وغناها نظرا لأنه شاعر يحس بالجمال الطبيعي الذي تعتبره بعض الدول السياحية مصدر ثروتها.

واللام في "الناس" تفيد الاستغراق الشامل لكل ما يندرج تحت هذا المسمى إذ أنه حكم عام يشمل كل الناس، وفصل جملة "قد بهر الناس جمالا" عن جملة " أي شئ في الغرب " لما بينهما من كمال انقطاع لاختلافهما خبرا وإنشاء.

وعطف جملة " ولم يكن منه عندي " على جملة " بهر الناس جمالا " لما بينهما من توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال فالجملتان منفصلتان في الخبرية مع وجود الجامع والمناسبة بين الجملتين.

فـترابي تـبر ونهـري فـران ** وسـمائي مصقولـة كـالفرند[1]

عطف الجمل في البيت بعضها على بعض لما بين الجمل من توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال فالجمل متفقه في الخبرية مع وجود الجامع. وشبه تراب مصر بالتبر يجامع الحضب والثراء، كما شبه نهرها بالفرات في العذوبة. وهو من التشبيه البليغ الذي حذفت أداته ووجه شبهه، وحذف الشاعر الأداة والوجه للإيجاز، وليفيد أن المشبه هو عين المشبه به والتشبيه هنا يوحي بالمبالغة، والامعان في التصوير، وذلك لأنه قريب من الاستعارة في إفادة المبالغة.

وأستمد الشاعر عناصر صورته التشبيهية السابقة من الطبيعة التي تشاهدها يوميا لتقريب صورة المشبه في أذهاننا. وأعقب هذين التشبيهين بصورة تشبيهية أخرى أكثر جمالا وهى تشبيه سماء مصر بالفرند وهو: صفحة السيف يجامع الصفاء

واعتمد شاعر النيل في التشبيهات السابقة على البيئة فانتقى منها ألفاظه فالتراب والتبر والنهر والفرات، كل هذه أشياء مستمدة من الطبيعة المصرية. أما التشبيه في قوله: " سمائي مصقولة كالفرند' فقد استمد الشاعر صورة المشبه به من البيئة الحربية التي عاش فيها الشاعر فترة طويلة.

أينما سرت جدول عند كرم ** عند زهر مدنر عند رند[2]

---

١) الفرات = العذب، الفرند = السيف - القاموسي لمحيط ل /٣٣٥ التكريريين المنير والتأثير د/ عز الدين على السيد ص٤٥ - عالم الكتب - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م.

فقوله: " إينما سرت " أسلوب شرط حذف جوابه لأنه معلوم من سياق الكلام الذي بعده وتقديره: " تجد جمالا " وحذف جواب الشرط هنا للإيجاز والاختصار في الكلام. وبلاغة الإيجاز تكمن في تصفية العبارة وقوة حبكها وثراء معانيها وكثرة إيحاءاتها، واقترابها من العربية المطبوعة.

وفى الحذف ملحظ الاتصال الفطن بين المتكلم والمخاطب وفى هذا أو أمثاله نرى الإمتاع والإعجاب بشرط بعده عن التعمية والألغاز لأن القرينة الدالة على المحذوف تشير إلى طبيعة المحذوف وأشار إلى ذلك السعد بقوله: " ففي الحذف تكثير للفائدة بإمكان حمل الكلام على كلا المعنيين بخلاف ما لو ذكر فإنه يكون نصا في أحدهما[1].

وهذا ما سماه المحدثون " ثراء المعاني " وهو من سمات الأساليب الراقية، حيث تبعث في المخاطب طاقات متعددة من الدلالات والإيحاءات

وقوله: " زهر مدنر " تشبيه حيث تخيل الزهر دنانير مستديرة تتلألأ جمالا، وتشرق ألوانا، كما تفوح منه رائحة طيبة جميلة، وكان من الممكن أن يستغني الشاعر عن قوله " رند " اكتفاء بـ " زهر مدنر " ولكن أتى به للقافية، وليستقيم وزن البيت، كما أن في ذلك تنويع من الشاعر فهناك زهر مشرق وأخر طيب الرائحة.

ورجالي لو أنصفوهم لسادوا ** من كهول ملئ العيون ومرد[2]

---

٢) مدنر = أي مختلف الألوان أو مشرق متلالى، والرند = شجر طيب الرائحة وله حب يقال له الغار.

١) المطول ص٤٣.

٢) المرد = جمع أمرد وهو الشاب الذي ينشب شاربه ولم تنبت لحيته لسان العرب لابن منظور ٦/ ٤١٧٢ - ط دار المعارف، القاموس المحيط ١/ ٣٥.

بعد أن تحدثت مصر عن ثروتها الطبيعية تحدثت عن ثروتها البشرية وهى من أهم الثروات لأن الثروة الطبيعية لا قيمة لها إذا لم تجد عقولا واعية ذكية تحسن استخدامها واستخراجها.

وخرج الخبر من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الحسرة على ضياع الثروة البشرية في عهد الاحتلال. وعطف هذا البيت على سابقة لما بينهما من توسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فقد اتفقت الجملتان في الخبرية مع وجود الجامع. واضافة الرجال إليها يوحي باعتزازها بهم.

وحذف مفعول " سادوا " والتقدير سادوا العالم أو سادوا غيرهم لإفادة العموم والشمول، ولتذهب النفس في تقدير المحذوف كل مذهب والتعبير هنا يدل على الشرف والزيادة.

وقوله " ملئ العيون " كناية عن الهيبة والروعة التي تبين مدى التفوق والعظمة التي كانوا سوف يصلون إليها، ويجوز أن تكون كناية عن الإعجاب بمناظرهم ولم يسق الشاعر هذا المعنى هكذا سادحا عقلا بل سلك في إثباته مسلكا دقيقا وطريقا خفيا.

وقد جاء مع الكناية بأسلوب الطباق بين " كهول ومرد " للتوضيح ولإبراز جمال الصورة الكنائية، ولبيان أن السيادة والشرف متأصلان في شعب مصر يبينآن في رجالها في سن مبكرة.

فالطباق هنا ليس مجرد حلية أو زينة يمكن الاستغناء عنها بل كان له دور في بناء العبارة الشعرية. وهو مع تجميله اللفظ أدى غرضا معنويا حيث استوعب الحكم كاملا كما يأتي لعقد مقابلة حسية أو نفسية أو زمانية، وفيه يكشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها مما يؤكد أن الطباق من

الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، إذ الضد اقرب حضورا بالبال عند ذكر ضده[١].

ودونك كلام شيخ البلاغة وفيه ما يكشف عن طبيعة هذا الفن البلاغي "أما التطبيق فأمر أبين، وكونه معنويا أجلى وأظهر، وهو مقابلة الشيء بضده، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال، وليس لأحكام المقابلة ثم مجال[٢].

لو أصابوا لهم مجالا لأبدوا ** معجزات الذكاء في كل قصد

خرج الخبر في هذا البيت من معناه الحقيقي وهو الفائدة أو لازم الفائدة إلى غرض مجازى آخر وهو التحسر والألم فكان الإنجليز يحرمون أبناء مصر من تولى الأعمال التي تظهر نبوغهم وتفوقهم.

وشبه الذكاء في تفوقه وخروجه عن الحد المعتاد بالمعجزات الخارقة وأضاف المشبه به إلى المشبه، وذلك لأن المشبه به في حكم الخبر من ناحية أفاده الاتحاد، وتناسى التشبيه ولذلك كان التشبيه خفيا يحتاج إلى نظر وتأمل.

وقوله " في كل قصد " تعبير جميل أتي به الشاعر للدلالة على تنوع المواهب والقدرات. فمصر تريد أن تقول في هذا البيت أنني غنية بالرجال لو أعطاهم المحتلون حقهم، وفسحوا لهم الطريق لبلغوا غاية الأمل ولأظهروا براعة فائقة تدل على الذكاء الخارق في كل مجال.

---

١) البديع رؤية جديدة د/ صباح عبيد دراز ص١٤.

٢) أسرار البلاغة ص ٢٨.

انهـــم كالظبـــا ألـــــح عليهـــا ** صدأ الدهر من ثـواء وغمـد[1]
فـــإذا صيقـــل القضـــاء جلاهـــا ** كن كـالموت مـا لـه من مـرد[2]

قولـه انهـم كالظبـا. . أسـلوب خـبري جـاء مؤكـدا لتـأكيد مضمـون الحكم الذي تضمنـه الخـبر الـذي خـرج مـن معنـاه الحقيقـي إلـى معنـى آخـر مجازى وهو التحسر والألم على عدم إتاحه الفرصة لأبناء مصر في إظهـار نبوغهم وقدراتهم. وشبه رجال مصر وشبابها بالظبا، ولكن قيد هذا التشـبيه بكون هذه الظبا لم تتح لها الفرصة في إظهـار مقدرتهـا وخبرتهـا، فقد كـان الإنجليز يحرمون أبناء مصر من تولى الأعمال التي تظهر نبوغهم وتفوقهم، كمـا أن فـي ذلك تعريض بطـول مكث المحتلين فـي مصـر واحتلالهـم لهـا. واستمد حافظ عبارته هنا من البيئة الحربية التي عاش فيها.

فاللمسات الفنية في البيت السـابق واضحـة، ودقـة العنـاصر التـي التقطها من البيئة ليقرب بها المشبه مما يدل على اهتمامه به، فكل ما كـان أصيلا في بابه، واضحا في دلالته على المعنى المقصود كان ذلك قد انعكس على الصورة وجعلها تموج بالمعنى المقصود في سهولة ويسر.

فحـافظ يريـد أن يقـول: أن هـذه السـنان إذا جلاهـا شـاحذ السـيوف كانت كالموت في سرعة النفاذ وأصابة الهدف فكذلك المصريـون لـو أتيحـت لهم الفرصة لأبدوا تفوقهم ونبوغهم في كافه المجالات.

---

١) الظبا = جمع ظبه وهي حد السيف والسنان ونحوهـا الثـواء = طـول المكث، لسـان العرب ١/٥٢٤، الغمد = حقن السيف القاموس المحيط ١/٣٣٢.

٢) الصيقل = شاحد السيوف وجاليها والجمع صياقل وصياقلـة مقـاييس اللغـة لابـن فارس ٣/٢٩٦ ط الثانية ١٣٩١هـ ١٩٧٠م

أنـــا إن قـــدر الإلـــه ممـــاتي ** لا ترى الشرق يرفع الـرأس بعدي

تؤكد مصر هنا دورها في حياة الشرق ورعاية الله لها فتقـول: إن حياة الشرق وكرامتـه مستمدة من وجـودي ولـو كتـب لـي أن أمـوت لمـات الشرق كله. والغرض من الخبر في البيت السابق الفخر والاعتزاز بـالنفس. وقولـه: " ممـاتي " استعارة جميلـة حيث شبه الشـاعر الضعـف والجمـود بالموت بجامع عدم النفع في كل، وقد أفادت الاستعارة المبالغة في أصابـه الأمم بالضعف والركود.

وهى استعارة تصريحيه أصلية وضحت المعنى الذي رامه الشـاعر خير توضيح، ولو أن الشاعر قدم فكرته في صورة حقيقية لمـا كـان لكلامـه هذا الأثر الرائع في نفس المتلقي، بل لما كان لـه أثـر علـى الإطلاق، ولكـن الشاعر حين صور ضعف مصر وركودها وعدم تقدمهـا فـي صـورة مجازيـة رائعة بلغ بالصورة من التأثير في النفس ما لم تبلغه الحقيقة، وهذا كله لأنه استغل هذه الصورة التـي أحـاطت بـأطراف الفكرة وصورتهـا هـذا التصوير الرائع الجميل.

وكان الشاعر دقيقـا جـدا فـي انتقـاء ألفـاظ وكلمـات بيتـه فلـم يبـح لنفسه أن يصور مصر ميتة فانية، حيث إن هـذا لا يناسب جـو النـص وهـو الفخر والاعتزاز فآتي بأداة الشرط إن الدالـة علـى الشك وكـان لهـذه الأداة دور هام في السياق ووقعه على النفس، واستحسان العقل له.

وفـى قولـه " الشرق يرفـع الـرأس " استعارة مكنيـة حيـث صـور الشرق بإنسان له رأس وحذف المشبه به ورمز له بشئ من لوازمـه وهـو الرأس على سبيل الاستعارة المكنيـة واثبـات لازم المشبه بـه وهـو الـرأس

للمشبه وهو الشرق استعارة تخييلية، وضحت المعنى وبينت الغرض وهو التشخيص وبيان دور مصر في حياة الشرق وارتباط مصيره بها.

مـا رمـانـي رام وراح سـلـيما ** مـن قديـم عنايـة اللـه جنـدي

يبين الشاعر في هذا البيت أن مصر تقول: أن عناية الله تحوطها منذ القدم وقد بقيت صامدة خالدة وزال أعدائي وتلك عاقبه المفسدين فأين الهكسوس والفرس والروم والتتار والصليبيون والعثمانيون والفرنسيون وقريبا يزول الاحتلال الإنجليزي.

وقوله " ما رماني رام وراح سليما " كناية عن رعاية الله لمصر والكناية هنا أفادت الإيجاز مع المبالغة في بيان رعاية الله لمصر، والكناية هنا أبدع وأروع من التصريح فهي تصور المعنى الذي قصده الشاعر وإرادة أدق تصوير في أسلوب موجز بليغ، فهي تريد أن تقول أن التاريخ شاهد على أن كثيرا من المعتدين بغوا على وحاولوا القضاء على أمجادي ولكنني كنت دائما مقبرة الغزاة.

وفى قوله: " عناية الله جندي " تشبيه بليغ حيث صور الشاعر عناية الله بصوره الجيش المدافع عن مصر. والتشبيه هنا من التشبيه البليغ الجميل الذي يدل على جهد حافظ وثرائه اللغوي حيث استطاع أن يعقد صله بين شئ معنوي وآخر حسي. وجمال التشبيه هنا جاء من الشعور ببراعة الشاعر وحذفه في عقد المشابهة بين حالتين أحداهما معنوية والأخرى حسية، والأديب كلما كان أبعد في التشبيه كان أقدر على توليد الخيال وتأليف الصورة التي توحي بالثقة في نصر الله ورعايته، كما تبين قدسية مصر ودورها في خدمة الحق والعدل.

وبنى هذه الصورة التشبيهيه على صوره كنائية مما أثرى ألمعنى وحسن الأسلوب وزاده جمالا.

كم بغت دولة على وجارت ** ثم زالت تلك عقبى التحدي

كم هنا خبرية تفيد الكثرة وليست استفهامية والإتيان بها هنا أفاد الإيجاز والمبالغة في الكلام ففي تضاعيفها الكثير من المعاني التي تدل على كثرة الدول التي طمعت في مصر، كما تدل على أصالة مصر وخلودها فقد بقيت وزال أعداؤها كالهكسوس والفرس والروم والمغول والصليبيين العثمانيين والفرنسيين وتحررت بعد ذلك من الاحتلال الإنجليزي.

فقد رحلت كل هذه الدول وانتهى سلطانها بعد كفاح طويل استمر أعواما وسنين، والخبر بذلك يوحي بالتحذير من ظلم مصر. وفى التعبير بـ " ثم " التي تفيد التراخي يوحي بأن هذه الدول استمرت قرونا تحتل مصر وتسيطر عليها. وعطف جملة " جارت " على " بغت " يدل على تكرار العدوان وتتابعه.

وقوله "تلك عقبى التحدي" تذييل[1] جار مجرى المثل جاء به لبيان عظمة مصر وخلودها، ولتوضيح ذلك المعنى وتثبيته في الذهن. والطباق بين "بغت وزالت" طباق ايجاب بين فعلين أضفى على المعنى حسنا وزاده جمالا وبهاء. والطباق هنا ليس مجرد كلمتين متضادتين أنما كان له دوره في السياق وفى بنيه العبارة وجمالها وحسنها.

قل لمن أنكروا مفاخر قومي ** مثلما أنكروا مآثر ولدى

---

١) التذييل: "تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد" الأطول للعصام ٢/٤٥ المطبعة العامرة ١٢٨٤ هـ.

الأمر من مصر لابنائها خرج من معناه الحقيقي إلى معنى مجازى وهو الحث. والأمر من الأساليب الإنشائية الطلبيه التي توقظ الأذهان وتسترعى الأسماع كي لا يغفل أو يتجاهل أحد أمجاد مصر وفضل أبنائها.

هل وقفتم بقمة الهرم الأكبر يوما ** فرأيتم بعض جهدي
هل رأيتم تلك النقوش اللواتي ** أعجزت طوق صنعه المتحدى
حال لون النهار من قدم العهـ ** ـد وماسي لونها طول عهد

انظر إلى ذلك الأسلوب الإنشائي الذي جاء على تلك الصورة الاستفهامية التي خرجت من معناها الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الحث والحض.

وقد بين الأسلوب الإنشائي السابق مدى روعه مصر وجمالها وعظمتها وعظمة أبنائها وحضارتها في أسلوب قوي مؤكد. فالشاعر يريد أن يحث أبناء مصر على الوقوف بقمة الهرم الأكبر، والتأمل في النقوش التي أعجزت طاقة وجهد المعارض الذي ينازع مصر الغلبة والفخر.

فالشاعر يتمنى أن يفعلوا ذلك ليروا عظمة الحضارة المصرية وعظمه ثرائها الخالد. والتعبير باسم الاشارة البعيد تلك للاشارة إلى عظمة مصر وحضارتها وبعد منزلتها.

ولم يعطف الشاعر قوله " حال لونها النهار " على الجملة التي قبلها لما بينهما من كمال انقطاع فالبيت السابق له أسلوب إنشائي وهذا البيت من الجمل الخبرية الجميلة التي تفيد المبالغة، فقد يقول أن لون النهار تغير من طول العهد أما نقوشها الجميلة فلم تتغير ولم يمسها أي تغير أو تحويل. وقد جاء بأسلوب المقابلة الجميلة بين شطري البيت مما أضفى على ألمعنى جمالا وتأكيدا وزاده حسنا وبهاء.

إن مجدي في الأوليات عريق ** من له مثل أولياتى ومجدي

تأكيد الجملة الخبرية بـ " أن " واسمية الجملة لقصد تأكيد مضمون الكلام وتحقيقه في أذهان السامعين. وقوله " من له مثل اولياتى ومجدي " أسلوب إنشائي جاء على صورة الاستفهام الذي خرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الاستبعاد. أي استبعاد أن يكون هناك من له أوليات وأمجاد مثل مصر. هذا وفصل بين شطري البيت لاختلافهما خبرا وإنشاء فبينهما كمال انقطاع.

أي شعب أحق منى بعيش ** وارف الظل اخضر اللون رغدي

الاستفهام هنا خرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو النفي أي ليس هناك شعب أحق منى بحياة رغده وعيشة هنية. وقوله وارف الظل: كناية عن الهناءة والاستقرار وسعة العيش وطيبه.

آمن العدل انهم يردون الـ ** ماء صفوا وان يكدر وردى
آمن الحق انهم يطلقون الـ ** أسد منهم وان تقيد أسدي

الاستفهام في البيتين السابقين استفهام إنكاري للنفى فليس من العدل أن يشرب المحتلون الغادرون الماء صفوا ومصر شعبها يكدر ماؤهم. كما تنكر مصر وتنفى أن تطلق جنود الأعداء وتقيد مصر وشعبها وجاء بالجملة الخبرية أنهم يردون " أنهم يطلقون " مؤكدة التأكيد مضمون الخبر.

وفى قوله " يطلقون الأسد وان تقيد أسدي " استعارة تصريحيه أصلية فقد شبه جنود العدو المحتلين بالأسود في الشراسة والاعتداء، وشبه جنود مصر بالأسد في الشجاعة والاستبسال.

وجنود العدو المحتل تعربد وتمرح وجنود مصر مقيدة محبوسة وبنى هذه الصورة المجازية على أسلوب المقابلة مما زاد ألمعنى تأكيدا ووضوحا.

كما أن في قوله " يردون الماء صفوا وأن يكدر وردى " كناية عن استقرار العدو واطمئنانه وقلق المصريين وعدم استقرارهم وقد جاءت هذه الصورة الكنائية في صورة مقابلة جميلة بينت أن الحياة الهادئة الهانئة يتمتع بها المحتلون الغادرون، بينما عل العكس من ذلك شعب مصر كما أن جنود العدو المحتل الغاصب ترتع في النعيم وجنود مصر الشجعان الباسلين مقيدي الحركة.

والمقابلة السابقة جاءت لتأكيد المعنى وتحقيقه في مبناه ومعناه، وبيان الفرق بين المحتلين الغاصبين، وسكان البلاد الأصليين

وقد عرض الشاعر هذه المعاني في عبارات متقابلة لتأكيدها وتثبيتها في الذهن مع إبرازها في مظهر جمالي حتى تعلق بالنفس فتتأكد وتستوثق. ومن ثم لم تكن المقابلة مجرد لون بديعي الغرض منه إبراز الجمال في العبارة، وإنما كان لها دور في بناء العبارة ومعناها.

نظر الله لي فارشد أبنا ** ئي فشدوا إلى العلا أي شد
إنما الحق قوة من قوى الد ** يان أمضى من كل ابيض هندي
أمهروها بالروح فهي عروس ** تشنأ المهر من عروض ونقدي[1]

---

١) تشنا = تكره، القاموس المحيط ١/١٩، الأبيض الهندي = السيف، العروض = جمع عرض بالتحريك وهو كل شئ سوى الدراهم والدنانير القاموس المحيط ٢/ ٣٤٦.

في قوله " نظر الله " كناية عن رعاية الله لمصر، إلا أن المعنى الكنائى هنا أدق تصويرا وابلغ تعبيرا والأسلوب الكنائى هنا وسيله من الوسائل التي أعانت حافظ على بيان مدى رعاية الله لمصر وحفظها.

وفى قوله "إنما الحق قوة" أسلوب من أساليب القصر الجميل الرائع، وهو قصر موصوف هو "الحق" على صفه وهى "القوة" وطريقة إنما التي تجئ لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما ينزل هذه المنزلة[1].

والسر البلاغي للقصر هنا التقرير والتأكيد مع الإيجاز والاختصار في الكلام، وأكد هذا الأسلوب أيضا بقوله "من قوى الديان" فالحق ليس مجرد قوة وإنما هذه القوة من الديان، كما أكد أيضا بقوله "أمضى من كل ابيض هندي" وهذا التعبير في هذا الموضع كناية عن السيف. وقوله "أمهروها بالروح" أسلوب إنشائي جاء على صورة الأمر الذي كان غرضه حث الشعب المصري على الجهاد والاستبسال في سبيل الدفاع عن بلده ووطنه.

وفى قوله " فهي عروس " تشبيه بليغ يبين أن مصر تأبى أن يكون مهرها دراهم ودناتير بل هي تستحق ما هو أغلى وأثمن من ذلك وهو التضحية بالنفس وهى أعز ما يملك الإنسان. وللتشبيه البليغ أثر في تصوير المعاني، وتقريبها من الأذهان وإمتاع النفوس بها، والارتفاع بالكلام من أرض الواقع إلى سماء الخيال، وكلما تدرج المرء في هذا الارتقاء كان الكلام أوقع في النفس وأعلق بالقلب، ومن هنا كان الأثر أبلغ حينما تحذف أداة التشبيه من المشبه به وحينما تحذف الأداة والوجه معا[2].

---

١) دلائل الإعجاز ص٢٥٤.

٢) علم أساليب البيان ص ٢٤٧.

وردوا بـي منـاهل العـز حتـى ** يخطب النجم في المجـرة ودي

أسلوب الأمر السابق جاء لغرض الحث على الاعتزاز بالنفس والكرامة والعزة ورفع الرأس إلى أعلى القمم، وأكد هذا المعنى بالأسلوب الكنائى الجميل في قوله "يخطب النجم في المجرة ودي" وهو كناية عن العلو والرفعة وفى قوله "يخطب النجم" استعارة بالكناية صورت النجم بالشاب الراغب في الزواج من مصر، وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو قوله " يخطب "، وفى ذلك تشخيص جميل يوحي بالعزة والرفعة وعلو المكانة والمكان.

شـهدوا حومـة الوغـى بنفـوس ** صـابرات واوجـه غـير ربـد

في هذا البيت خرج الخبر من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الفخر والاعتزاز بشجاعة هؤلاء القوم، والبيت كناية عن قوه الإيمان بالله والشجاعة.

أن فـي الغـرب أعينـا راصـدات ** كحلتهـا الأطمـاع فيكـم بسـهد

جاء بالخبر مؤكدا بان واسميه الجملة لقصد تأكيد مضمون الكلام وتحقيقه، وقدم المسند على المسند إليه أعلاما بما هو أهم وهو الإشارة إلى خطر الغرب، فالتقديم هنا اشارة إلى مغزى وغرض في نفس الشاعر ودالا على الهدف الذي إرادة، وهو الإشارة إلى طمع الغربيين.

من هنا أتت بلاغة التقديم حيث يقدم المتكلم في الجملة ما تحب النفس أن تقديمه أبلغ من تأخيره فمثلا يقدم بعض أجزاء الجملة حين يكون المقدم هو المحور الذي يدور عليه الحديث وهو المقصود وهو المراد[١].

وفى قوله "أعينا راصدات" مجاز لغوى طريقته المجاز المرسل فقد أطلق الجزء وأراد الكل، والقرينة استحالة صدور ذلك من العيون فقط وخص العين بالذكر للأن لها مزيد اختصاص في هذا الموقف، فقد اشترط البلاغيون لهذه العلاقة أن يكون الجزء الذي يراد به الكل مما جرى العرف على استعماله في الكل، وكان له اختصاص وثيق بألمعنى المراد عن كله، أو كون الكل مركبا تركيبا حقيقيا وأن يستلزم انتقاء الجزء انتقاء الكل[٢].

ولم يشذ نسق حافظ الشعري في التعبير عن الكل المراد بهذه الأشياء، وإنما كان دقيقا في تخير الجزء الذي عبر به عن الكل، ومتسقا مع الشروط العلمية التي وضعها البلاغيون. فكان حافظ دقيقا وبارعا في تخير الأجزاء الذي عبر بها عن المعنى المراد به وكان دقيقا في استعمال الجزئيات التي عبر بها عن كلياتها فأطلق العين على الذوات الرقباء والجواسيس ومن المعلوم أن هذا الجزء من إبرز الجوارح التي يستخدمها الرقيب في النظر والمراقبة وبدونه لا يسمى رقيبا، وفيه من المبالغة ما لا يخفى في إطلاق العين على الجواسيس وكأنه أحاله كله عيون تترقب. وقوله " كحلتها الأطماع فيكم بسهد " كناية عن أن طمع الغربيين في مصر وثروتها جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم تتحين بهم الفرص، وقد أفادت الكناية هنا المبالغة مع الإيجاز.

---

١) بلاغة الكلمة والجملة والجمل د/ منير سلطان ص٢٠٨ منشأة المعارف الاسكندرية.

٢) شروح التلخيص ٤/٣٥٠، الرسالة البيانية للصيان ص ٢٠٠ الطبعة الأولى ١٣١٥هـ

نحـن نجتـاز موقفـا تعـثر الآ ** راء فيـه وعـثره الـرأي تـردى
ونعير الأهـواء حربـا عوانـا[1] ** من خلاف والحلف كالسل يعدى
ونثـير الفوضـى علـى جانبيـه ** فيعيـد الجهـول فيهـا ويبـدى
ويظـن الغـوي أن الا نظـام ** ويقـول القـوى قـد جـد جـدي

عبر بضمير المتكلم في الأبيات السابقة لأن المقام للمتكلم وجاء بضمير المتكلم بصيغة الجمع لمشاركة القارئ والسامع له فيما أراد أن يقوله. وعثره الرأي كناية عن اختلافهم وعدم اتفاقهم على رأى واحد وتشبيه الخلف بالسل بجامع العدوى في كل، فالمشبه الخلف والمشبه به السل، ووجه الشبه العدوى فهو تشبيه مرسل مجمل.

وقوله "جد جدي" مجاز عقلي علاقته المصدرية، فقد اسند حافظ الفعل "جد" إلى المصدر "جدي" على سبيل المجاز العقلي والعلاقة المصدرية، والذي سوغ هذا الإسناد أن المصدر جزء مفهوم الفعل

يقول الشيخ الدسوقى "جد جدي " أي جد اجتهاده واصل جد زيد جدا أي اجتهاد الآن حق الجد أن يسند للفاعل الحقيقي، فهو الشخص لا للجد نفسه لكن اسند إليه لمشابهته له في تعلق الفعل بكل منهما، لأن ذلك الفعل مصادر من الشخص والمصدر جزء من معنى ذلك الفعل[2].

فقد عمد حافظ إلى ذلك المجاز العقلي في ذلك الموقع للايجاز فأصل الكلام جد القوى جدا، وقد اشتملت الأبيات السابقة على الجناس الجميل بين "الحزم والعزم" وقد جرى الجناس على لسان حافظ عفويا بغير تكلف وقد تصرف حافظ في هذا الجناس، وأعاد توزيع الأصوات والأنغام

---

١) الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد الأخرى وهي أشد الحروب.
٢) حاشية الدسوقي ضمن شروح التلخيص ١/٢٣٩.

لأنه يملك أذنا موسيقية، ويحس إحساسا خاصا نحو الألفاظ فهو شاعر متمكن من اللغة متعمق فيها يحاول أن يجريها ويسير أغوارها، ويظهر للعيان قدرته على إبراز محاسن هذه اللغة.

كذلك نجد الطباق الجميل بين " يعيد ويبدى " وهو محسن من المحسنات المعنوية الجميلة التي لها اثر في إبراز جمال العبارة وحسن وقعها في النفس.

إننا عند فجر ليل طويل ** قد قطعناه بين سهد ووجد
عمرتنا سود الأهاويل فيه ** والأماني بين جزر ومد

أكد الجملة الخبرية لتأكيد مضمون الجملة ومحتواها، وقد خرج الخبر من معناه الحقيقي وهو الفائدة أو لازم الفائدة إلى غرض مجازى آخر وهو التألم والمعاناة من طول الاحتلال والاستعمار، وقوله عمرتنا استعارة تصريحيه تبعية فأصل الغمر الماء الذي يغمر القامة فضرب هنا مثلا لما هم مغمورين فيه من معاناة ومقاساة من الاحتلال وأفعاله.

وفى قوله الأماني بين جزر ومد استعارة مكنية حيث شبه الأماني بأمواج البحر بجامع القرب والبعد وعدم الاستقرار على حال، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجزر والمد وإثبات لازم المشبه به للمشبه قرينه الاستعارة المكنية وهو استعارة تخييلية.

وقوله "فجر ليل طويل" كناية عن قرب انقضاء عهد الاحتلال بعدما ظل أعواما يذيقهم مرارة الذل والتعب والسهر، وقوله "سهد ووجد" يدل على أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل كانوا يفكرون ويصنعوا الخطط، ويقوموا بالمظاهرات للتخلص من احتلال الإنجليز لهم، وقد تحقق ذلك.

وفى قوله "غمرتنا سود الأهاويل" كناية عن القسوة والظلام والظلم والمشقة والاحتباس الذي عاناه الشعب المصرى أيام الاحتلال. وبين "الجزر والمد" طباق جميل حسن المعنى وجمل الأسلوب والتصوير البياني هنا من استعارة وكناية حول المعنى العقلي إلى معنى حسي، وهو انسب ما يكون للمعنى فهو متلاحم مع سابقة ولاحقه، مصور للمعنى أكمل تصوير، فقد اختار له الشاعر الألفاظ الجميلة، والمعاني الشريفة فخرج في أسلوب بارع مع قوة تأثيره وروعه تصور وزيادة بيان.

فحافظ شاعر وطني صادق الوطنية أراد أن يعبر عن آمال أمته متمنيا لها مستقبلا مشرقا زاهرا فتخير لذلك الصور البيانية الرائعة التي تدل على قوة العاطفة التي تشع جمالا في القصيدة وتؤثر في النفوس وتجسم الأفكار وتوضحها.

فاستبينوا قصد السبيل وجدوا ** فالمعالي محطوبه للمجد

الأمر في قوله "استبينوا جدوا" خرج من معناه الحقيقي إلى معنى آخر مجازى وهو الحث والنصح، فهو بذلك يريد أن يقول أن مصر توجه النصيحة لأبنائها بان يتجهوا إلى الصواب، ويعملوا بجد ليحققوا أهدافهم الرفيعة لان العمل أساس تحقيق الآمل، والأماني فالعروس لا يقدر على مهرها غير المجد المجتهد.

وعطف جملة جدوا على جمله استبينوا لما بينهما من توسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال فالجملتان إنشائيتان لفظا ومعنى واتحاد المسند إليه فيهما ووجد الجامع بينهما وهو كون كل منهما نصيحة لأبناء مصر.

وقوله فالمعاني مخطوبة للمجد تعليل لقوله "وجدوا" وهو استعارة مكنية حيث شبه المعالي بالعروس وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الخطبة على سبيل الاستعارة المكنية. وبلاغة الاستعارة هنا تكمن في التشخيص وتوحي بقيمه العمل في سبيل إبراز المجد والرفعة.

## مراجع البحث ومصادره


* أسرار البلاغة تأليف الإمام عبد القادر الجرجانى دار المعرفة بيروت
* البديع رؤية جديدة د/ صباح عبيد دراز د. ط
* بلاغة الكلمة والجملة د/ منير سلطان منشأه ألمعارف الاسكندرية
* التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للاعلامية شرف الدين حسين بن محمد الطير النهضة العربية الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٨٧م.
* التكرار بين المثير والتأثير د/ عز الدين على السيد الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٩
* حافظ وسوقي للاستاذ الصيرفي
* خمسة من شعراء الوطنية د/ عثمان أمين، د/ نعمات أحمد فؤاد، نيفولا يوسف، د/ عبد المنعم خفاجي، د/ عبدة بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م
* دلائل الإعجاز للإمام / عبد القاهر الجرجاني – تحقيق السيد رشيد رضا دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٩م
* ديوان حافظ ابراهيم – دار المعارف
* شروح التلخيص للخطيب وآخرين – دار الشروق – بيروت

* علـــم أســـاليب البيـــان د/ غـــازي يمـــوت - دار الأصالـــة الطبعـــة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

* فن الاستعارة دراسة تحليلية في البلاغـة والنقد مع التطبيق علـى الأدب الجـاهلي تـأليف د/ أحمد السيد الصاوي، كليـة الآداب الهيئـة المصريـة العامة للكتاب، فرع الاسكندرية رقم الايداع ٩/٣٩١٩.

* القـاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز بـادي الطبعـة الثانية - ١٣٧١هـ ١٩٠٢م مطبعة الحلبي

* لسان العرب لابن منظور - ط - دار المعارف

* مجلة أبولو عدد يوليه ١٩٣٣م

* المطول لسعد الدين التفتازاني - المطبعة العامرة ١٣٣٠هـ

* مقاييس اللغة لابـي الحسن أحمد بن فـارس بـن زكريـا ت ٣٩٥ تحقيق وضبط عبد السلام محمد هـارون - الطبعـة الثانيـة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م مطبعة الحلبي